

الأصالة و التجديد في شعر بشار بن برد و السمات المميزة لشعره

Originality and renewal in Bashar Ibn Bard's poetry and the distinctive features of his poetry

د. رجب عبد الله خليفة. محاضر بقسم اللغة العربية كلية التربية القبة. جامعة عمر المختار.

د. عبد المقصود أحمد بدوي. محاضر بقسم اللغة العربية كلية التربية القبة. جامعة عمر المختار.

Dr. Rajab. A. Khalifa. Lecturer, Department of Arabic Language, College of Education, Al-Qubba. Omar Mukhtar University.

Email: rajab.abdullah@omu.edu.ly

Dr. Abd alMaqsod. A. Badwi. Lecturer, Department of Arabic Language, College of Education, Al-Qubba. Omar Mukhtar University.

Email: ebada5060@gmail.com

تاريخ نشر البحث

2021 / 11 / 7

تاريخ قبول البحث

2021 / 10 / 25

تاريخ استلام البحث

2021/ 9 / 3

الملخص: استهدف البحث التعرف على مظاهر الحياة المختلفة التي ميزت العصر العباسي الأول عن العصور السابقة له، وتحديد مظاهر تجديد شعراء العصر العباسي الأول في بناء القصيدة و ألفاظها و أوزانها و معانيه، وتحديد سمات التجديد و مخالفة النسق المألوف في بناء القصيدة العربية في شعر بشار بن برد، و من خلال الأسئلة التي يسعى البحث إلى الإجابة عنها، فقد تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج الوصفي، و استعرض البحث مظاهر الحياة : (السياسية، و الاجتماعية، و العقلية، و الأدبية) التي سادت إبان حكم الدولة العباسية في عصرها الأول، و من أهم نتائج البحث ما يلي :

يعد بشار بن برد رائد المجددين في الشعر ، فبشار بحق إمام المحدثين ، وهو أكده ابن رشيقي بأنه أول من فتق البديع من المحدثين ولذلك يعد بشار بن برد إمام المحدثين وزعيم المجددين .

أخذت حركة التجديد تسري في مطلع القرن الثاني الهجري ، وتصطدم بعنف مع عمود الشعر القديم ومنهجه ، وقد استحدث شعراء هذا العصر بعض مظاهر التجديد التي شملت : (التجديد في الألفاظ ، و بنية القصيدة، و الأوزان و القوافي، والأغراض و المقاصد، و التجديد في المعاني و الأخيلة)، و لم يكن بشار بن برد بمنأى عن شعراء عصره ، بل حمل لواء التجديد ، وسبق شعراء عصره في كثير من الأغراض .

ولشعر بشار بن برد بشكل عام وفي مجال الهجاء بشكل خاص سمات وخصائص فنية عديدة اتسم بها، وأضفت عليه طابعاً فريداً في نهجه وفي موضوعه، ويمكن حصر ذلك فيما يلي: (تركية النزعة الشعوبية، المقطوعات القصيرة، تذييل القصائد بالحكم و الأمثال، سخريته اللاذعة في هجائه، بلاغته في شعره) .

الكلمات المفتاحية: الأصالة ، التجديد ، السمات .

Abstract: The aim of the research is to identify the different aspects of life that distinguished the first Abbasid era from its previous eras, and to identify the manifestations of the renewal of the poets of the first Abbasid era in constructing the Arabic poem in its weights, words and meanings, and identifying the features of renewal and violating the familiar pattern in building the poem in Bashar Ibn Bard's poetry

Through the questions that the research seeks to answer, it was relied on the descriptive approach and the research reviewed the aspects of the political, social, mental and moral life that prevailed in the rule of the Abbasid state in its first era. The most important results of the research are the following

Bashar Ibn Burd is considered the pioneer of the modernists in the street, and this is what prompted Dr. Abdullah Al-Tayeb to say that Bashar is the right of the Imam of the Muhadditheen, as Ibn Rashiqi affirmed that he was the first to herniate the Badi' among the Muhadditheen. Therefore, Bashar Ibn Baad is considered the Imam of the Muhadditheen

The movement of renewal took effect at the beginning of the second century AH and clashed violently with Mahmoud, the ancient poet and his method. The poets of this era introduced some aspects of renewal in poetry, which included renewal in words and the construction of the poem, weights, strength in abortion, meanings and imaginations. The logo has many purposes

Bashar's poetry in general, and in the field of satire in particular, has many artistic features and characteristics that characterize it and set his poetry a unique character in its approach and subject matter. This can be summed up in the following: Rekindling the populist tendency

Key words: Authenticity . Renewal . Features .

شعراء العصر العباسي الأول بين الأصالة و التجديد " بشار بن برد أنموذجاً "

بدأ الحكمُ العباسيُّ قوياً في بسطِ سيادته، وفرضِ إرادته، ونقلِ العباسيُّون الشَّيءَ الكثيرَ عن الفرسِ في تنظيمِ شئونِ الدَّولةِ، ودونَ أن يبتعدوا في نظامِ حكمهم عن نهجِ الأمويين فكانَ توريثُ الخلافةِ مبدأهم، وظهرَ فيهم خلفاءُ عظامٌ من مثل : أبي جعفر المنصور و هارونَ الرَّشيد والمأمون والمعتصم وغيرهم 0 ولكن الخلافةَ العباسيةَ منيت بالمعارضةِ الدَّاخِلِيَّةِ و منهم العلويين وغيرهم من العناصرِ الحاقدة، كما راحَتْ تُجابه خارج البلادِ الغزواتِ المتكرِّرةَ من البيزنطيين وغيرهم.

و برغم ذلك فقد كان العصر العباسي الأول يمثل قمة المستوى الذي ازدهرت فيه الحضارة العربية في جميع مجالاتها، وتنامت فيه العلوم والمعارف والثقافات والآداب بمختلف روافدها، فانصهرت فيه مجموعة من السمات الجديدة، التي لم تكن موجودة من قبل، ومجموعة أخرى من السمات القديمة، التي اعتاد الشعراء القدماء اتباع نسقها، فأشرق عن هذا التناغم نموذجاً مثالياً للشعر العربي.

" كما كان خلفاء العصر العباسي الأول مصدر أدب و علم، كانوا مصدر سياسة و نفوذ، فهم أهل حذق للأدب ومعرفة بالغة بفنونه يروون الشعر و ينتقدونه، و يستمعون إلى الشعراء، و يجزلون لهم العطاء، و يؤرثون بينهم نار التنافس و التسابق بما يبينون من فاضل و مفضول، و لهذا تراحمت على أبوابهم الشعراء من عامة الأقطار فكانت للشعر نهضة كثر فيها القصيد و جاد" (بيومي، 1937، 9) .

" فقد كان الخلفاء في العصر العباسي الأول أهل علم، يخالطون العلماء مخالطة حوار و نقاش، عارفين لقيمتهم، حافظين لمكانتهم، حافزين لهم، مشجعين إياهم على مد الدولة الجديدة بما تتطلبه حضارتها من علوم و فنون منذ عهد خليفتهم الثاني أبي جعفر المنصور، الذي لم يأل جهداً في وضع الأساس لنشأة العلوم المختلفة من شرعية، و لسانية، و فلسفية، و قفاه من بعده خلفاؤه الأقربون" (بيومي، 1937، 10) .

يأتي الشعر في هذا العصر العباسي الأول و قد اكتسب حُلته الأنيفة، حيث تقطرت عذوبته و فاض منه أسمى الأغراض، فقد نبت في أرض خصبة، تجود بالنعم الغزيرة التي تهيأت منها سبل الحياة، كما زاده إشراقاً عمق المعاني والألفاظ والصور الفنية الرائعة، إضافة إلى سهولة الأوزان وعذوبة الموسيقى، فتذوق العرب جماله الخلاب، و شربوا من معينه الصافي، حيث كان الشعر سر حياتهم، و منبع بهجتهم، وبغير الشعر لا يجد العرب لحياتهم معنى، فهو أصدق صورة لفكرهم، وأجمل نقداً لحياتهم .

" و يعد بشار بن برد من فحول الشعراء و سابقهم المجودين، فقد كان غزير الشعر، سمح القريحة، كثير الافتنان، قليل التكلف، و لم يكن من الشعراء المولدين أطبع منه، و لا أصوب بديعا ، و انتته الموهبة، و أسعفه الخيال، فطاع له القول و برع في تشقيق الكلام، و كان شاعرا راجزا و شجاعا خطيبا، و صاحب منثور و مزدوج، و له رسائل معروفة، و كان بشار يعد من البلغاء الفصحاء، و جعله الأقدمون رأس الشعراء المولدين، و أشادوا ببدائعه" (الفحام، 1983، 19) .

و قد ظهر بشار مولعاً بالحياة الواقعية، واقفاً شعره على تصوير حياته، وأنه قد شهد البيئة في جميع مرافقها، إثر الانقلاب الذي حدث في جميع مرافق الحياة، وقد صادف هذا الانقلاب ميلاً ملائماً في نفس بشار، وهو الجنوح إلى الانطلاق من القيود والتقاليد، ومخالفة الأوضاع الجامدة، المتطلع إلى التمتع بالحياة، في حرية ونهم، و هو الفنان الماهر في تكييف شعره على ما يريده من الألوان ليلبغ منه شتى غاياته.

وهذا ما دفع الدكتور عبد الله الطيب إلى القول بأن "بشاراً بحق إمام المحدثين" (الطيب، د/ت، 264)، كما أكد ابن رشيق أنه أول من فتن البديع من المحدثين (ابن رشيق، د/ت، 131) ولذلك يعد بشار بن برد رائد التجديد وإمام المحدثين وزعيم المجددين .
ولذلك يستهدف البحث الحالي تعرف ما تميز به الشعر في العصر العباسي الأول من مظاهر التجديد، بالإضافة إلى تحديد سمات التجديد و مخالفة النسق المألوف في بناء القصيدة العربية في شعر بشار بن برد .
و يشتمل هذا البحث على جزأين، و هما : (الإطار العام للبحث، الإطار النظري للبحث) .

أولاً : الإطار العام للبحث، و يتضمن ما يلي :

أ - اسئلة البحث :

السؤال الرئيس : إلى أي مدى استطاع شعراء العصر العباسي الأول المزج بين الأصالة و التجديد في نهج القصيدة و بنائها ؟
و يتفرع عن هذا السؤال الرئيس عدة تساؤلات فرعية، و هي :

- 1 - ما مظاهر الحياة المختلفة التي ميزت العصر العباسي الأول عن العصور السابقة له ؟
- 2 - ما مظاهر تجديد شعراء العصر العباسي الأول في بناء القصيدة و ألفاظها و أوزانها و معانيها ؟
- 3 - ما سمات التجديد الشعري و مخالفة النسق المألوف في بناء القصيدة العربية في شعر بشار بن برد ؟

ب - أهداف البحث :

تمثلت أهداف البحث الحالي فيما يلي :

- 1 - التعرف على مظاهر الحياة المختلفة التي ميزت العصر العباسي الأول عن العصور السابقة له .
- 2 - تحديد مظاهر تجديد شعراء العصر العباسي الأول في بناء القصيدة و ألفاظها و أوزانها و معانيها .
- 3 - تحديد سمات التجديد و مخالفة النسق المألوف في بناء القصيدة العربية في شعر بشار بن برد .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث فيما يلي:

أهمية فترة العصر العباسي الأول التاريخية، و أثرها على الحياة الأدبية في تلك الفترة، و تعرف ما تميز به الشعر في العصر العباسي الأول من مظاهر التجديد، بالإضافة إلى حرص كثير من الشعراء على التمسك بالقديم .
قد يستفيد من نتائج هذا البحث معلمو اللغة العربية و المهتمون بتاريخ اللغة العربية و آدابها، و متخذو القرار في وزارة التعليم، وإدارات ومكاتب التعليم في وضع المناهج التعليمية من خلال التعرف على مظاهر الحياة المختلفة بالعصر العباسي الأول و موقف الشعراء من الالتزام بنهج القصيدة و بنائها، و توجهاتهم نحو التجديد في المعاني و الألفاظ بما يتماشى مع ظروف العصر الذي عايشوه و طبيعته
قد يسهم هذا البحث في فتح أفقاً جديداً للباحثين الجدد؛ حيث يتيح لهم معلومات حول مظاهر الحياة المختلفة بالعصر العباسي الأول بصفة عامة، و مظاهر التجديد التي تطرق إليها الشعراء في المعاني و الالفاظ في الشعر بصفة خاصة، مما قد يوجههم إلى تناول جوانب اختيار موضوعاتهم البحثية التي ترتبط بهذا العصر .

منهج البحث :

انطلاقاً من طبيعة موضوع البحث و المعلومات المراد الحصول عليها للكشف عن مظاهر الحياة المختلفة بالعصر العباسي الأول، و مظاهر التجديد في الشعر التي تطرق إليها شعراء هذا العصر، و سمات التجديد و مخالفة النسق المألوف في بناء

القصيد العربية في شعر بشار بن برد، و من خلال الأسئلة التي يسعى البحث إلى الإجابة عنها، فقد تم الاعتماد في هذا لبحث على المنهج الوصفي، و الذي " يعتبر طريقة لوصف الظاهرة المدروسة عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة و تصنيفها و تحليلها و إخضاعها للدراسة الدقيقة" (العساف، 2003، 191) .

ثانياً. الإطار النظري للبحث : و يتضمن هذا الجانب التأطير النظري لمشكلة البحث من خلال الإجابة عن تساؤلاته :

مظاهر الحياة المختلفة التي ميزت العصر العباسي الأول عن العصور السابقة له :

الحياة السياسية:

" خالطت العرب بعد تمام الفتح في العهد الأموي أشتاتا من الأمم مختلفين في أجناسهم و دياناتهم و في لغاتهم و اجتماعاتهم، فتأثروا بهم كما أثروا فيهم، و لكن تأثرهم لم يبد واضحا جليا في ذلك العهد لقصره نسبيا، و لترفع العرب عن مخالطة الأعاجم اقتداء بحلفائهم و ذوي الأمر فيهم، فكانت الأمة العربية ملوكا و سوقة ذات عصبية لجنسها و نعة لقوميتها، و لكن ذهاب تلك العصبية و هذه النعة بمجيء العهد العباسي جعل هذا الاختلاط يعمل عمله و يؤثر تأثيره في كثير من نواحي الحياة ذات التأثير البين في اللغة و آدابها و علومها " (بيومي، 1937، 24) .

ويعتبر العصر العباسي الأول بداية الفترة الأولى من هذا العصر حيث تميزت بقوة الخلافة و مجد الدولة، فقد ثبتت قواعد الدولة " منذ أن أعلن أبو العباس السفاح في الكوفة قيام الخلافة العباسية، وأخذ في توطيد دعائم الدولة الجديدة و تثبيت أركانها " (مكي، 1999، 49)، " و تباع الخلفاء من بعده حيث امتد نفوذها في أيام المهدي، وتألفت حضارتها و عظمت هيبتها أيام هارون الرشيد و المأمون، أما المعتصم فتوالت في عهده الانتصارات العسكرية و استمر ذلك حتى عصر الواثق و المتوكل، و قد اعتبرت الفترة الأولى من العصر العباسي، فترة السيادة و السلطة بامتياز " (عماري، 2018، 15) .

" وفي هذه الفترة من حكم الدولة العباسية اعتمد الخلفاء على العنصر الفارسي و كان بيد هؤلاء الفرس مقاليد الأعمال و تصريف شؤون الدولة، و كان لهم نفوذ كبير و تأثير على سياسة الخلفاء، و من مظاهر نفوذ العنصر الفارسي نقل العاصمة إلى بغداد لقربها من خراسان، و نقلهم نظام الفرس الكسروي في الدواوين الساسانية و أساليب الحرب، و قد أخذ العباسيون نظام الوزارة عن ملوك بني ساسان إضافة للنظم الإدارية و السياسية، و توسع الخلفاء في محاكاة الدواوين الساسانية، و كان في كل ولاية ديوان للخراج يقوم عليه موظف ينفق منه على الولاية، و يرسل ما تبقى من الأموال إلى بغداد، حيث كان لكل ولاية ديوان خاص، و سمي مجموع هذه الدواوين باسم بيت المال و قد عُهد أمره إلى خالد بن برمك و تولى أيضاً ديوان الجند " (ضيف، د/ت، 22) .

الحياة الاجتماعية:

" عاش خلفاء بني العباس حياة مترفة كلها بذخ، و كانت خزائن الدولة هي المعين الذي هيا لكل هذا الترف، فقد كانت تحمل إليها حمول الذهب و الفضة من أطراف الأرض " (الأصفهاني، 1935، 22)، " و كان من أهم آثار ذلك انشغال الخلفاء بالترف و الملذات؛ مما أدى إلى انهيار الدولة العباسية، و انقسم المجتمع حينها إلى فئتين: فئة يعمها البؤس و الشقاء، و أخرى النعيم و الترف " (الجاحظ، د/ت، 69) .

" فقد كانت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي بشكل عام حياة ترف و نعيم، و يكاد الأمر كله يشمل جميع طبقات المجتمع كلٌ بحسب طبقته. و لقد برزت في العصر العباسي عدة مظاهر تتمثل فيما يلي (السلامة، 2008، 10) :

هور طبقتين متغايرتين في المجتمع : طبقة تنعم بالرخاء و سعة العيش، و أخرى تجد صعوبة في حياتها اليومية. ازدياد حركة العمران، من بناء القصور الفاخرة، و المساجد الفخمة، و تزيين العاصمة زينة لم تلقها مدينة أخرى. شيوع كثير من مظاهر اللهو الترف مثل : الشطرنج، و النرد، و صيد الغزلان و الطيور، و مشاهدة القُرَّادين، و ازدهار الغناء، و كثير الموسيقيين، و تطورت آلاتهم و ألحانهم. ازدياد الشُّعوبية التي لم تعد المفاضلة فيها بين العرب و الفرس، بل تعدى ذلك إلى المفاضلة بين العرب و غيرهم من أبناء الشعوب الأخرى.

انتشار المجون والانحلال والزندقة؛ بسبب اختلاط العرب بغيرهم من أبناء الأمم الأخرى، ومع ذلك لم يكن المجتمع كله مجتمع لهو وترف، فقد كان المجتمع مجتمعاً إسلامياً، وكانت الغالبية فيه مقيمة على الإسلام متمسكة بفرائضه، وسننه وشعائره، فكانت ساخطة على مظاهر اللهو والترف والشعبوية والزندقة .

" و قد قضت هذه المدنية على كثير من مناقب العرب التي شبوا عليها في بداوتهم و هذبها الإسلام في صدر إسلامهم و حاطها الأمويون بالرعاية في دولتهم، كالشجاعة و النجدة و الألفة و العفة و غيرها، مما جبلوا علي مدحه، و التفاني في نصرته، و تجلت له في أدبهم صور رائعة باهرة فأصبح الناس بعد هذا العصر تشاهد الضعف و الخور و الاستسلام و الغدر و الخداع و ذهاب الغيرة من نفوس الرجال، و ضعف الثقة بهم في قلوب النساء، حتى غاض معين طاهر صاف، و فاض آخر كله رجس و أقدار" (بيومي، 1937، 31) .

الحياة العقلية:

أغدق الخلفاء العباسيون الأموال على العلماء والأطباء والمترجمين، والشعراء والمغنيين، و كان لذلك أثر كبير في نهضة العلوم والآداب والفنون، جعلت هذه الأموال حياة هؤلاء الناس نعيماً خالصاً، و تمتعوا بمباهج الحياة، وبأشكال الترف التي أحدثتها المدنية الحديثة .

" على أن العرب على ما آذنتهم به تلك المدنيات في نواحي الاجتماع، قد استفادوا من ورائها مغانم في العلم و الأدب، عادت عليهم و على لغتهم بالخير و الصلاح، فقد جرى أبناء أممها سلائل العرب في مضمار الأدب، فكان منهم الكتاب و الشعراء ثم بذوهم في مضمار العلم فكانوا أكثر منهم عدداً و نتاجاً في التأليف و التصنيف " (بيومي، 1937، 34) .

وكان تشجيع العلم ومكافأة أهله سمة من سمات هذا العصر، لذلك تنافس الناس عليه، وطلبوه في المساجد وغيرها من الأماكن، فكان العلماء يختارون المساجد أماكن يقصدهم فيها طلاب العلم والمعرفة .

و كانت الأماكن التي يرتادها الناس للعلم، سوق البصرة، المعروف بالمريد، وكان الشباب يغدون ويروحون للقاء الفصحاء من الأعراب، والتحدث إليهم تدريباً لألسنتهم، ومحاولة لاكتساب السليقة العربية الخالية من شوائب العجمة، وكان من الشباب من يرحل إلى البادية ليأخذ اللغة والشعر من ينابيعهما الأصلية .

" و أصبحت المساجد ساحات العلم الكبرى فلم تكن بيوتاً للعبادة فحسب بل كانت أيضاً معاهد لتعليم الشباب حيث يلتفون حول الأساتذة في شكل حلقة، ومن هنا أتت عبارة حلقات العلم، ويقال أنه كان يحضر حلقة ابن الإعرابي الكوفي من علماء الكوفة زهاء مائة شخص " (الفقطي، 1955، 83) .

" وساعد نضج العقول و اتساع الأفكار في تدوين العلوم و ترجمتها، و كان عاملاً مهماً في تفسيح ميادين المعاني و تفجير ينابيعها، كما كانت الملاحاة الدائبة بين الجماعات و الخصومة القائمة بين الزهاد و المستمتعين من أقوى البواعث على نشر المباحثة و المناظرة، و خلق القدرة على الجدل و السفسطة في النفوس، فلم يعد الناس يتقبلون القضايا المجردة دون الحجة و الدليل، و كل هذا عاد على المعاني و الأخيلة بتقدم واضح و رقي كبير " (بيومي، 1937، 376) .

" كما ساعدت حلقات العلم هذه على وجود ظاهرتين أولها : كثرة العلماء المتخصصين في علم واحد، وثانيها : نشوء طائفة من العلماء والأدباء الذين نوعوا معارفهم، إذ أنهم مضوا يختلفون إلى جميع الحلقات، آخذين بطرق من كل لون من ألوان المعرفة" (ضيف، د/ت، 100) وكان يطلق على هذه الطائفة المسجديين وقد عرض الجاحظ في كتاب البخلاء (الجاحظ، 1419هـ، 29) صورة من حياتهم تناولوا فيها الاقتصاد في النفقة .

فالحياة في العصر العباسي الأول كانت غنية بمختلف أنواع العلوم والفنون والآداب تتميز عن غيرها من العصور الأخرى، لما فيها من تأثير وتأثر واختلاط بين العرب وغيرهم من الأجناس الأخرى، فتنوعت اتجاهات الشعر ما بين أهل البديع وأهل الصنعة، وما بين جاهلي وإسلامي ومحدث ومولد، وأهل اللفظ أو المعنى، و قد شكلت كل هذه الظواهر للشعر العباسي صورة مميزة للحياة الأدبية في هذا العصر .

الشعر في العصر العباسي الأول

في العصر العباسي ظهر كثير من الشعراء الذين نهجوا بالشعر مناهج جديدة في المعاني والموضوعات والأساليب حتى فاقوا في ذلك من سبقهم من الشعراء الإسلاميين والمخضرمين والجاهليين – ومن أشهر هؤلاء الشعراء بشار بن برد و أبو نواس .

" و قد لحق القصيدة تطوير وتجديد بداية من التخلي عن المقدمات الطلية والتي عرفها العصر الجاهلي واستبدالها بمقدمات تلائم الواقع العباسي بما في ذلك من مقدمات حكمية وطبيعية نظرا لبيئة العصر العباسي، و التي تميزت بالحضارة والرقى والقصور والرياض " (عماري، 2018، 78).

و شاعت اللغة العربية في جميع المناطق الخاضعة للنفوذ العربي – واتخاذها أداة للتعبير عن جميع القضايا الفنية والعلمية والدينية واعتماد الشعوب الدخيلة عليها في اكتساب المعارف والإبانة عنها " وظهرت المدارس بقواعدها وبرزت المذاهب الأدبية في هذا العصر وشملت الشعراء والناثرين، وتمثلت بعدد من المشاهير أمثال أبي نواس والمعري والجاحظ وبديع الزمان الهمداني – وتغيرت الأغراض والفنون والمضامين الشعرية التقليدية – وقام مقام الشعر السياسي نوع جديد من الصراع متخذاً الدعوة الشعبية موضوعاً له، وغالى الأدباء الخصوم في إظهار براعتهم، وظهرت المغالاة في التصريح بالزندقة والإلحاد والفحش والخلاعة، وتخصيص الخمر بقصائد كاملة " (الفاضل، 2003، 174).

" إنَّ النمط المعرفي الذي كان يحكم، هو الذي أثر في قابلية الشعراء على الإبداع، وعلى التواصل المؤثر في المتلقي، فالشعراء العباسيون ومنهم بشار بن برد لم يجمدوا على الصور النمطية، التي غزت ذاكرتهم الشعرية، بل أبدعوا صورا جديدة " (السامرائي، 2014، 2)

" فابتعد الشعراء عن القصائد المطولة واستبدالها بمقطوعات شعرية قصيرة ربطت فيما بعد بالموسيقى، وتطور العديد من الأغراض الشعرية مثل الوصف والمديح والزهد التي كتب فيها مجموعة معتبرة من القصائد عالجت مواضيع مهمة عرفها الأدب واعتبرت تجارب شعرية هامة " (عماري، 2018، 79).

كما ظهرت أنواع شعرية لم تكن موجودة من قبل مثل شعر: الحكمة، الفلسفة، الزهد، التصوف، الخمريات، والشعر التعليمي بمختلف مظاهره، وقد لقيت هذه الأنواع الشعرية رواجا كبيرا وسط المجتمع، فقد تناسبت مع روح العصر وكانت بمثابة انعكاس للواقع، وهذا في شكل قوالب شعرية أبدع أصحابها في تقديمها، و أنقسم الشعراء و الأدباء بن معارض للحديث و مؤيده .

و ذكر الأصفهاني أنه " لم يخل العصر من النظرات الموضوعية، فلا بد في كل عصر من أن تجد من يقف مع هذا الحدث الجديد، ويعجب به ويتذوقه ويحكم عليه، ولكن من الأمور اللافتة للنظر أن بعض المتعصبين للقديم نجد منهم من ينصف الحديث ويتراجع عن رأيه ويبدو أن مثل هذه المواقف التي لا تثبت على رأي ربما تدل على عدم الانخراط في الحياة الجديدة والتعلق في الماضي يشده إلى الوراء فيعيش في تناقض ومنهم أبو عمرو بن العلاء الذي كان من المتعصبين للقديم إلا أننا نجده يختم الشعراء ببشار بن برد، فهو يروي ديوان ذي الرمة ويختم به الشعراء الذين يحتج بشعرهم في اللغة والنحو والغريب، ويختم الشعراء بشاعر أحدث وهو كما ذكرت سابقا بشار بن برد. ومثله خلف الأحمر فيذكر الأصفهاني: "أن بشارا أنشد خلف الأحمر قصيدته في سلم بن قتيبة، فلاحظ فيها إكثاره من الغريب، وسأله عن سبب ذلك، فقال له: إن سلما يتباصر بالغريب، وأحببت أن أورد عليه ما لا يعرفه " (الأصفهاني، 1955، 90).

" كما بلغ النثر في هذا العصر رتبة رفيعة من حيث الصياغة والمضمون، وأصبح قادراً على الإفصاح عن أدق المعاني الفلسفية والأدبية والعلمية، وصاغ العبارات في زخارف مدهشة حتى بلغوا في صنيعهم حد الإعجاز – ووضعوا الرسائل المطولة والأخبار والتاريخ والجغرافيا والعلوم والأدب – ونقدوا في المجتمع وعبوه، وصنعوا في القصص، واكتشفوا في أغراضهم اللغوية والقصصية فناً جديداً هو المقامات " (الفاضل، 2003، 175) " وكثرت الترجمة وازدهرت في عصر المأمون؛ لاهتمامه بالثقافات الأجنبية وضرورة نقل علوم الأمم الأخرى وبخاصة علم اليونان، وترجمت في عصره والعصور التالية مئات الكتب مما استفادت منه الثقافة الإسلامية، وأثمرت ثمرات يانعات في تقدم العلوم العقلية والطبيعية والهندسية والفلك والرياضيات، بل وساعدت كثيراً في تطور وازدهار العلوم الشرعية بتوسيع الرؤيا، وأنارت البصيرة ولعب علم التاريخ دوراً هاماً في تزويد العقل الإسلامي بزايد مثمر في التعرف على الأمم السابقة من: فرس ويونان وروم ومصريين وعرب قدماء، مما ساعد على فهم وتغيير كثير من قصص القرآن وأخبار الأمم الغابرة فيه " (سلام، 1993، 144).

مظاهر تجديد شعراء العصر العباسي الأول في بناء القصيدة و ألفاظها و أوزانها و معانيها:

أخذت حركة التجديد تسري في مطلع القرن الثاني الهجري ، وتصطدم بعنف مع عمود الشعر القديم – ومنهجه وقوالبه، ومما أعان على ذلك ظهور طبقة جديدة في المجتمع من ناحية جنسها؛ إذ كانت مزيجاً بين العرب والأجناس الأخرى التي أخضعها المسلمون في فتوحاتهم، إذ اختلفت طريقة تفكيرهم عن العرب.

ففي بداية القرن الثاني الهجري ظهر الشعراء المولدون، الذين يحسنون العربية إلى حد البراعة في قول الشعر مثل زياد الأعجم وغيره، كما يحسنون لغتهم الأخرى، فثقافة اللغتين تولد روح التجديد، التي لا تنظر إلى التراث الشعري القديم نظرة التقديس والرهبة.

" وأول مظهر من مظاهر التجديد هو البعد الى حد ما عن القصائد المطولة، التي كانت أساساً في الشعر الجاهلي القديم، واختيار المقطوعات الصغيرة، التي لا تتجاوز بضعة أبيات" (زيدان، 1912، 148)، و من مظاهر التجديد في الشعر العربي في تلك الفترة، ما يلي :

أولاً : التجديد في الألفاظ

" تدل اللغة علي الحياة العقلية من ناحية أن لغة كل أمة في كل عصر مظهر من مظاهر عقلها، فلم تخلق اللغة دفعة واحدة، ولم يأخذها الخلف عن السلف كاملة، وإنما يخلق الناس في أول أمرهم ألفاظاً علي قدر حاجتهم ، فإذا ظهرت أشياء جديدة خلقت لها ألفاظاً جديدة، وإذا اندثرت أشياء قد تندثر ألفاظها، واشتقاقات وتعبيرات اللغة تنمو وترتقي تبعاً لرقى الأمة" (أمين، 1996، 50) .

لقد جدد الشعراء في العصر العباسي جل الأمور من حيث البديع والموضوعات والصور والمجازات ، واشتقوا ألفاظاً لم يعهدها اللغويون، فكانت المشكلة أنهم لم يحتجوا بلغتهم ولا بشعرهم ؛ لأنهم خرجوا عن المعيار، وحوى شعرهم ألفاظاً دخيلة، وخالطوا غير العرب ، وأتوا بالغريب، وتكلفوا البديع .

فالمجتمع العباسي خلق ذوقاً جديداً لإنسان العصر، و كان لهذا الذوق تأثير في تغير كثير من التصورات والمفاهيم الأدبية، إن الذوق الجديد في العصر العباسي استطاع علي الرغم من كل شيء – أن يفرض نفسه علي الحياة الأدبية .

"وكان تأثر اللغة في هذه الناحية أظهر من غيره، و كان من صور ذلك " (بيومي، 1937، 45) :

حدوث لغة تأليفية لتعليم العلوم، و أخرى فنية لتعليم الصناعات، روعي في كليهما مقياس المنطق و الفلسفة، لا مقياس الأدب و البلاغة .

نقل كلمات عربية إلى معان جديدة بطريق التجوز أو الاشتقاق أو القياس، لمصطلحات العلوم و الفنون و الصناعات، و ما إلى ذلك من إدارات الحكومة و دواعي العرف العام

دخول كثير من الكلمات الأعجمية، و خاصة على أيدي المترجمين و المؤلفين فيما نقل من علوم، و ذلك بعد تغييرها إلى ما يجعلها متفقة مع العربية .

الدقة في انتقاء الألفاظ السهلة الرشيقة الممثلة للمعنى كل التمثيل .

التأنق في صوغ العبارات المحكمة الرائعة المفهومة للغرض في شدة أسر و قوة أداء .

التوسع في استخدام أنواع التشبيه و التمثيل و الكناية و المجاز .

الإكثار من المحسنات البديعية اللفظية و المعنوية مع الإزدواج المصحوب كثيراً بالسجع

الشغف باستعمال ألفاظ القرآن الكريم و محاكاة أساليبه و اقتباس آياته و الاستشهاد بها

الانحدار إلى استعمال كثير من ألفاظ السخف و البذاءة و عبارات الخلاعة و المجون .

ظهور جديد في الوزن و القافية لم يكن معروفاً من قبل .

و يرى عطوان (عطوان، 1987، 35) "أن دخول الأجانب بلاد العرب قد أحدث تمازجاً ثقافياً أدى إلي تغير لغوي كبير في التركيب والدلالات والألفاظ ، التي تعددت فلم تكن فارسية فقط، فجاءت في أشعارهم كلمات رومية، يونانية نبطية ."

ونتيجة لطغيان الفارسية على غيرها من الحضارات الأجنبية، وتأثيرها اللغوي في البصرة والكوفة، وهما مركزان إسلاميان خطيران في الحياة الثقافية والعقلية والعربية، وبالرغم من انتشار العامية والدخيل، إلا أن الكلمات الفارسية الدخيلة انحصرت في

الأسماء، فلم تكن هناك حروف أو أفعال إلا في القليل النادر، فقد عرب العرب ما احتاجوا إليه مما ليس في لغتهم من أسماء الأطعمة والأدوية والنبات والأدوات .

و قد تسربت الكثير من الألفاظ والأفكار إلى الساحة الأدبية من (الأقوام الذين امتزجوا بالعرب، وتصارهوا مع الكثيرين منهم)، ومن يراجع الكتب يجد ألفاظا كثيرة أصبحت مألوفة في الشعر والنثر مثل : الفالوذج، والديباج .. و هي ألفاظ فارسية. و تجاوز بعض الشعراء المعجم الشعري الأصيل، واستخدموا تراكيب وألفاظ أعجمية، فضلاً عن المصطلحات العلمية والفقهية والفلسفية. و استخدموا السليقة مما هياً لظهور اللحن والخروج عن القياس الصرفي، فكان علماء اللغة لهم بالمرصاد، كلما انحرفوا دلّوهم على انحرافهم .

وكان العنصر الفارسي من القوة والانتشار بحيث جعل للغته مكاناً في المجتمع الاسلامي منذ القرن الأول، فتأثرت بها العربية بعض التأثر، وظهر أثر ذلك في الشعر نفسه، فنجد مثلاً الصبيان في أزقة البصرة يسألون يزيد بن مفرغ حين عاقبه عبيد الله بن زياد : (إين جيست؟) أي ما هذا؟ (فيجيبهم بالفارسية:

آب است نبيذ است

عصارات زبيب است

سميه روسيد است

أي هذا نبيذ وعصارة زبيب وسمية البغي (الجاحظ،1960،80) .

ثانيا - التجديد في بنية القصيدة

" للشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه، وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه فإذا اجتمع الفهم مع صحة وزن الشعر وصواب المعنى وحسن اللفظ، كان مسموعاً ومقبولاً، واشتماله عليه وإن نقص جزء من أجزائه التي يعمل بها وهي اعتدال الوزن، وصواب المغزى، وحسن الألفاظ، وللأسفار الحسنة علي اختلافها مواقع لطيفة عند الفهم لا تحد كيفيتها كالريح القائمة المختلفة الطيب والنسيم، لأن الحكمة غذاء الروح " (سلام، والعلوي،1956،15)، وقد قال النبي الكريم : " إن من الشعر لحكمة "

" فلم تكن محاولات التجديد في الموضوعات التقليدية هي الظاهرة الوحيدة في هذا العصر، فقد صاحبها محاولات التجديد في أسلوب الشعر ونهجه، وكانت التطورات التي طرأت على هذا العصر دافعاً قوياً إلى ظهور هذا التجديد، وكان أول من دعا إليه الشعراء المولّدون، فقد كان الشعراء العرب حريصين على تقاليد شعرهم الموضوعية والفنية القديمة، مستجيبين لعواطفهم، محافظين على تراثهم، أما المولّدون فلم تكن هناك عاطفة تربطهم بهذا التراث، ولم يكونوا حريصين على شكله ومضمونه "(السلامة،2008،23) .

" كما لعب التطور الحضاري والاجتماعي دوراً كبيراً في نفسية الشاعر، فقد أدى به هذا الى الابتعاد عن ذكر الاطلال ووصفها وكذا البكاء عليها، ومن جهة أخرى مجون هؤلاء الشعراء أغلبهم يعتبر من المولدين، الذين لا تربطهم أي علاقة مع البيئة العربية في الجاهلية، وبالتالي غير معنيين بوصف وكتابة وتصوير أشياء غير موجودة في المجتمع الذي يعيشون فيه حالياً" (عماري،2018،64) .

من ذلك يتضح أن بنية القصيدة من أهم مظاهر التجديد في العصر وهي تصوير حي لبيئة الشاعر الثقافية بواقعية تتجه للذاتية، وخير مثال قصيدة المدح في هذا الاتجاه في ذلك العصر.

أما بناء القصائد عند بشار فقد كان تقليدياً، حيث أنه سار على نهج سابقه في بناء القصيدة العربية، وقد انصرفت عنايته إلى حسن الربط بين الأقسام التي تتضمنها القصيدة، وحسن الانتقال بين الأغراض، إضافة إلى حسن البدء. فقد استطاع بشار المزوجة بين الماضي والحاضر، و الملاءمة بينهما، وقد أزهى في هذا العصر التيارات الفكرية، تيار القديم بنصاعته، وقوة

بلاغته، ودقة تراكييبه، وتيار الجديد برقته، وتحضر ذوقه، وبهذا التفاعل ربط بين الماضي والحاضر بمخزونه التقليدي، ورصيده الحضاري.

ثالثا - التجديد فى الأوزان والقوافى وبحور الشعر :

للشعر خصائص موسيقية تأتيه من الوزن والقافية، وقد ألمّ الشعراء العباسيون بالأوزان التي أخرجها الخليل بن أحمد، ونظموا على تفعيلاتها، وكان الميل إلى الأوزان القصيرة و المجزوءة، التي تستدعي الرشاقة، والعذوبة، وتلائم حياة القصور والحنات والخمائل، لذلك ظهر جدال عظيم بين من يؤيد الجديد من الأدباء و من يعارضه .

" تتجلى هذه الخصومة بين القدماء والمحدثين على أشدها في الصراع بين القديم والجديد، والواقع أنه لم يشهد عصر من عصور الأدب العربي صراعا بين القديم والجديد مثلما شهد العصر العباسي، فقد كان هنا صراع عنيف وشديد بين رجال اللغة والأدب والشعراء المجددين" (ضيف، 2001، 183) " منذ بشار بن برد نجد اللغويين يتعقبون الشعراء في أساليبهم فكلمنا بدا من أحدهم انحراف عن جادة الفصحى أعلنوا النكير عليه " (الحديدي، 1995، 30) .

إن انتشار الموسيقى والغناء ساعد على التجديد في الأوزان والجرس الداخلي، فجاء الشعر سهلاً رقيقاً خفيفاً حسن التقسيم؛ حتى يسهل للغناء ويلئم الموسيقى، فمال الشعراء إلى الإيجاز الراقص والنغم القصير كما في قول مطيع بن إياس:

خرجنا نمتطي الزهرا ونجعل سقفنا الشجرا

ونشرها معتقة

وجوه عندنا تحكي بذابة وجهها القمر (شليبي، 1979، 77)

" ولم تكن الموضوعات والأساليب وحدهما مجال التجديد في هذا العصر ، فقد شاعت لدى كثير من الشعراء الأوزان الخفيفة لنظم قصائدهم، كأبيات البحري، أما في مجال القوافي فقد ظهرت المزدوجات التي تتحد فيها القافية في شطري البيت، وتختلف من بيت إلى بيت، وكذلك نظم الشعراء الرباعيات والمسّمطات والخمسات، وجميعها أشكال مختلفة في استعمال القوافي، ويرى بعض النقاد أن هذه الأشكال بداية لظهور فن (المَوْشَحَات) في الأندلس " (السلامة، 2008، 27) .

"ومال الشعراء إلى الإيجاز الراقص والنغم القصير، ويلاحظ أيضاً في قصيدة بشار التي أولها:

تحمل الطاعنون فادّلجوا والقلب منى الغداة مختلج (حجاب، 1961، 270)

هذه من بحر المنسرح، والمعروف عن المنسرح أن تكون عروضته صحيحة وضربه مطوياً: مستفعل مفعولات مستفعل
مستفعل مفعولات مفتعل، وبشار استعملها بعروض مطوية وضرب مطوي فعروضها: مفتعل وضربها مفتعل في جميع أبياته،
وقد تكرر ذلك منه في قصائده التي من بحر المنسرح في قوله (حجاب، 1961، 254):

لا فجع إلا كما فجعت به من فارس كان دوننا حديبا

و تصرف بعض الشعراء بالأوزان، كما استحدثوا أوزاناً أخرى تتسجم مع روح العصر، و أبو العتاهية من أشهر الذين ابتكروا في الأوزان، التي تليق بما يقول من الشعر، قال ابن قتيبة فيه : وكان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربما قال شعراً موزوناً يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب"

رابعاً - ناحية الأغراض و المقاصد :

لقد تجددت موضوعات الشعر القديمة كما تجددت في معانيها و أغراضها، فقد أخذ الشاعر العباسي ينمي بعض جوانب الشعر حتى تخرج منه فروع جديدة كثيرة، وتناول موضوعات مختلفة أخذاً يفرد بها بمقطوعات أو قصائد في أغراض كثيرة و متعددة، و أحيانا أغراض جديدة لم يسبق إليها القدماء .

"فقد اتسعت مقاصد اللغة و أغراضها في العصر العباسي اتساعاً كبيراً، ساعد عليه امتزاج المدنية الآرية بالسامية امتزاجاً تاماً، و كان من وراء ذلك أن تناول التغيير أغراضاً بالإيجاد، و أخرى بالسعة و الازدياد، كانت منها هذه الأغراض" (بيومي، 1937، 40) :

تدوين العلوم على اختلاف أنواعها من شرعية و لسانية و عقلية .
الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية و خاصة الفارسية ثم اليونانية .
إشاعة المذهب الشعبي و الرد عليه .
نشر الزندقة و الإلحاد و مقاومتها .
تعبيد طرق البحث و المناظرة و الجدل و المحاضرة .
التحريض على متع الحياة و تحسين المجانة و الخلاعة و امتداح الشراب و الغناء .
الوعظ و الإرشاد عن طريق التزهيد في الدنيا و الترويج في الآخرة .
خامساً - التجديد في المعاني و الأخيلة :

إن التغيير الذي حدث في الحياة العباسية أحدث تغييراً واضحاً في الشعر العباسي من حيث الأغراض والمعاني والألفاظ، والأساليب.

فاتسعت الثقافة في العصر العباسي، فظهر أثر ذلك على الحياة الفكرية، فتميزت الصورة الشعرية بالجدة والطرافة، و أبيات بشار بن برد مثال على التجديد والإبداع:

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيفٌ ألم
ختم الحب لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذم

في البيت الأخير، تشبيه نادر، ولغة الأبيات سهلة وأسلوبها مألوف، و قد حلق خيال الشاعر العباسي في فضاء ما صنعت يد الحضارة، بسبب ألوان الترف والنعيم الذي أسس لحياة جديدة، إلى جانب الطبيعة الخلابة.

" و قد سلك الشعر في أيام بني العباس طريقاً يكاد يخالف كل المخالفة طريقته أيام بني أمية، فنشأت معان جديدة وذهب الشعراء مذاهب مختلفة في وصف المعاني والتعبير عنها، ونشأ عن هذه المذاهب المختلفة ضرورياً من التصرف في فنون القول والاختيار بين ألوان الكلام" (حسين، 1937، 20) .

" كما فتح التوسع في المقاصد و تعدد الأغراض أمام الناس أبواباً جديدة للمعاني و التخيلات، إذ كان تدوين العلوم و ترجمتها عاملاً على نضج العلوم و سعة الأفكار، ثم كان وضع القصة و خلق الرواية فاتحاً أمام الخيال أودية بعيدة ما بين الأطراف، كما كانت طبيعة البلاد الخصبة مطلقة للتصوير الحسي كل عنان، فعاد هذا و غيره على المعاني و الأخيلة بأطيب الثمرات، و كان من ثمار ذلك (بيومي، 1937، 44) :

الإكثار من المعاني الدقيقة و الجديدة التي تدل على حصافة عقل و غوص فكر و طول دراسة للعلوم العقلية و تفهم لمناحي الفلسفة .
استخدام الحجج العقلية و البراهين الفلسفية التي أصبحت أذهانهم الناضجة لا ترضى بغيرها و لا تقنع بسواها .
الإبداع في التصوير و الإغراب في الخيال، و قد كثرت موادها و تعددت ألوانها في النثر و الشعر .
الإقدام دون تهيب على المبالغة و التهويل جرياً على ما كان للفرس بهذا النوع من ولوع حملهم إليه التباعد بين الطبقات .
و من المعاني الدقيقة التي تظهر عليها الجدة مع دقتها قول بشار بن برد ينسب العشق إلى الأذن كالعين :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة و الأذن تعشق قبل العين أحياناً
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الذن كالعين توفي لقلب ما كانا .

و قال في إهلاك ماله بعدوى كفه من كف ممدوحه :

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى
و لم أدر ان الجود في كفه يعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذور الغنى
أفدت و أعداني فأتلّف ما عندي

سمات التجديد و مخالفة النسق المألوف في بناء القصيدة العربية في شعر بشار بن برد:

الشاعر بشار بن برد :

" ولد بشار بن برد بن يرجوخ بالبصرة، وكان جده يرجوخ من طخارستان من سبائا المهلب بن أبي صفرة والي خراسان، فنشأ ابنه برد عبدًا وهبته جدة القشيرية امرأة المهلب لامرأة من بني عقيل، وفي ملكها ولد لبرد بشار على الرق هو الآخر، فكان يحس في قرارة نفسه أنه قن ابن قن، وأنه من أسرة فقيرة وضبعة في المجتمع، ثم كان مولى لبني عقيل عندما أعتقته العقيلية، كما كان منظره و عماه يجعلان الناس آنذاك يسخرون منه ويستهزئون به، فانطوى على مرارة في نفسه ولدت فيه ميلا قويًا للعنوان، فجاء هجاؤه مفرغًا وغزله فاحشًا ماجنًا، قال فيه الدكتور طه حسين : ليس وجه بشار بذلك الوجه المشرق الجذاب الذي يستميلك ويستهيئك، وإنما هو فيما اعتقد رجل ثقيل الظل " (حسين، 1937، 188).

و أورد عن برد والد بشار فيقول " كان بشار مولى لبني عقيل بن كعب ... وقع أبوه برد في الفيء في سبي المهلب، من أعجام ما وراء النهر في حدود 80هـ، و أصله من طخارستان، فصار عبدا لخيرة القشيرية زوج المهلب بن أبي صفرة " (الفحام، 1983، 34).

بشار بن برد شاعر أكمه، وُلِدَ أعمى، يقول في ذلك (ناصر الدين، 2010، 609) :

إذا وُلِدَ المولود أعمى وجَدْتَهُ
وَجَدْتُكَ أَهْدَى مِنْ بَصِيرٍ وَأَحْوَلَا
عَمِيْتُ جَنِينًا وَالدَّكَاءُ مِنَ الْعَمَى
فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعَمِّ مَعْقَلَا
و غاض ضياء العين للقلب فاغتنى
بقلب إذا ما ضيغ النَّاسِ حَصَلَّ

عرف الشعر وهو في الصغر منذ العاشرة من عمره، وهو يهجو الناس وكان يخشى من سلاطة لسانه وافحاشه في الهجاء، كان ضخماً عظيم الخلق، مجزور الوجه، جاحظ المقلتين، تغشاهما لحم أحمر، فكان أقبح الناس عمى وأفظعهم منظرًا، حتى إنه قال في وصف نفسه: والله إني لطويل القامة، عظيم الهامة، تام الألواح، أسجع الخدين، كما كان بشار رجلا حاد الطباع سيء الخلق، متبرماً بالناس، مفطوراً على استعدادهم، متقلب المزاج سريع الاستجابة لما حوله، شديد الانفعال، يمكن أن يثور لأقل الأسباب .
لم يختلف الباحثون على أن بشاراً هو من طليعة المحدثين، ويرى شوقي ضيف (ضيف، 2004، 207) " أن الرواة والنقاد اجتمعوا على أنه زعيم الشعراء المحدثين، وابن المعتز يرى أنه : سيدهم ومن لا يقدم عليه، ولا يجارى في ميدانه، أستاذ أهل عصره من الشعراء، غير مدافع، ويجتمعون إليه وينشدونه ويرضون بحكمه (ابن المعتز، 1939، 4)، ويرى الأصمعي : أن بشاراً سلك طريقاً لم يسلك، وأحسن فيه وتفرد به، وهو أكثر تصرفاً وفنون شعر، وأغزر وأوسع بديعاً (الأصفهاني، د/ت، 35)
" وتزوج بشار، وكان له جارية أو أكثر، و كان عماه قبيحا، وجسمه كبيرا، و كان ذا شخصية، نشأ مدلا بين نساء بني عقيل بعد أن حرره القوم من الرق، و كان مولد بشار و طفولته و شبابه في العصر الأموي، و قد ظل لهذا النظام أثر في العصر العباسي إلى أن قويت شوكة الفرس فيما بعد" (حجازي، 2017، 17) .

ولشعر بشار بن برد بشكل عام وفي مجال الهجاء بشكل خاص سمات وخصائص فنية عديدة اتسم بها، وأضفت عليه طابعاً فريداً في نهجه وفي موضوعه، ويمكن حصر ذلك فيما يلي:

1 - تزكية النزعة الشعوبية :

وهي نزعة نجمت عن كونه فارسي الأصل، وأودت به إلى أن يقف موقفاً عدائياً حاقداً ضد العرب والإسلام، وضد كل ما يمت لهما بصلة، فقد كان بشار بن برد شعوبياً زنديقاً متشبعاً بالتعاليم المانوية، وكان يميل إلى التفكير الحر، ويأخذ بالشك والجبر، وقد أورثته عاهته تبرماً بالناس ونقمة عليهم، بل ولقد كان جريئاً على التعاليم الإسلامية والتقاليد العربية، وكان يجد في هذه الجراءة متنفساً للتعبير عن حقه على العرب، والتشنيع بعاداتهم، والسخرية من أحوالهم، الذين جاءوا بالدين الإسلامي، وقضوا على حضارة آبائه وأجداده الفرس من جهة وللتعبير عن من جهة أخرى عن نقمته على الأقدار التي أبنت له بعاهة العمى منذ ولادته،

ومن أهاجيه التي تكشف عن شعوبيته قوله في هجاء من افتخر من الأعراب :

أحين كسيت بعد العري خراً ونادمت الكرام على العقار
تفاخر يابن راعيـة وراعٍ بني الأحرار حسبك من خسار
وكنت إذا ظمئت إلى قراح شركت الكلب في ولغ الإطار

بشار بن برد في هذه الأبيات يعبر عما في نفسه من حقد وكره تجاه العرب، وهو يتخذ من هجائه لهذا الأعرابي منطلقاً ومتنفساً لذلك، فهو يذكر الأعرابي بماضيه الذي لم يكن ناصعاً، ويعيبه به وبحياته البدوية الخشنة والعفنة في الصحراء، والتي كان فيها راعياً للغنم، وشبهه عار من الثياب التي لا يجد ما يلبس منها، ويشارك الكلب في الشرب من إناء واحد، ويسخر من التحول الذي طرأ على حياة الأعرابي، فأصبح يعيش في ترف وبحبوحة، حتى انتهى به الأمر إلى منافسة بني الأحرار – أي الفرس – الذين يعتبر بشار واحداً منهم .

" و تزيد الشعبية في شعر بشار إذ لم يقف عند رفع نسبته إلى ملوك الفرس، و تجميل ما قبح من خلقته، و تقريب ما بعد بينه و بين النساء خاصة، بل تعداه إلى أحكامهم على شعره ففيها الإفراط و الغلو المسرف "(محمود و الشريف، 2009، 319) .

2- المقطوعات القصيرة :

إن بشار بن برد في كثير من شعره الهجائي الذي اشتهر به وتفوق فيه يكتفي غالباً بما قل ودل من الأبيات، التي عادة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة بل وفي كثير من الأحيان يكتفي بالبيت أو البيتين أو الثلاثة فقط طالما هي تؤدي الغرض وتفي بالمقصود منها، وقد كانت كذلك بالفعل، فقد كانت قصيرة لاذعة، وهذا يعكس عمق ثقافة بشار بن برد، وإلمامه بأصول الفصاحة العربية، و أجاب لما سئل: لم لم تطل الهجاء، فقال : لم أجد المثل السائر إلا بيتاً واحداً" ،

ومن الشواهد على ذلك – فضلاً عما ورد في سياق هذا الموضوع - قوله في هجاء سويد وتولب:

عددت سويداً إذ فخرت وتولباً وللكلب خير من سويد وتولب

وقال في هجاء عمرو بن العلاء التميمي – النحوي المعروف:

أرفق بنسبة عمرو حين تنسبه فإنه عربي من قوارير

ما زال في كير حداد يردده حتى بدا عربياً مظلماً النور

إن جاز أبأوه الأندال من مضرٍ جازت فلوس بخارى في الدنانير (القيرواني، 1981، 182)

3 - تذييل القصائد بالحكم والأمثال

مما يميز شعر بشار بن برد أن كثيراً من أهاجيه المقذعة تأتي أحياناً مذيلة بالحكمة والمثل، نحو قوله يهجو محمد بن العباس (مصطفى، 1937، 424)

ظل اليسار على العباس ممدود وقلبه أبداً بالبخل معقود

إن الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنياً، وهو مجهود

وللبخيل على أمواله عللٌ زرق العيون عليها أوجه سود

إذا تكرهت أن تعطى القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود

أورق بخيرٍ ترجى للنوال فما ترجى الثمار إذا لم يورق العود

بث النوال ولم تمنعك قلته فكل ما سد فقراً فهو محمود

فهذه الأبيات وإن كان موضوعها الهجاء، وإن بخل عليه العباس ولم يعطه شيئاً إلا أنها تميل نحو الحكمة، كما أن قوله " زرق العيون عليها أوجه سود " و " فكل ما سد فقراً فهو محمود " كل منهما تذييل يجري مجرى المثل،

ويعتبر هذا – بجانب قصر المقطوعات - من عوامل ذبوع شعره وانتشاره في الأفاق وجريانه على ألسنة الناس، وكثرة التذييل بالحكم والأمثال في شعر بشار يدل على " كمال العقل وكثرة التجارب ودقة الحس وشدة الملاحظة وصفاء الذوق وتمام الرشد .

4 - سخريته اللاذعة في هجائه :

أضفى بشار بن برد على شعره الهجائي ألواناً من السخرية اللاذعة بالمهجو، التي تزيد من مهانته والتشنيع به، فهو يكثر من وصف المهجو بأوجه العار الشائعة، ويتعرض لنسبه العربي، ويجعل مهجوه ضحكة، وذلك في عبارة قريبة المأخذ، سهلة الحفظ، وأسلوب رشيق، بل وصل إلى حدّ القذف والسباب، وهذا ما لم يفعله الشعراء السابقون له . خليلي من كعبٍ أعينا أحاكما على دهره إن الكريم معين (http://www.alnoor.)، وقال بشار :

ولا تبخلا بخل ابن قزعة إنه	مخافة أن يرجى نداء حزين
إذا جنّته للعرف أغلق بابه	فلم تلقه إلا وأنت كمين
فقل لأبي يحيى متى تبلغ العلا	وفي كل معروف عليك يمين
إذا سلم المسكين طار فؤاده	مخافة سؤلٍ، واعتراه جنون
كأن عبيد الله لم ير ماجداً	ولم يدر أن المكرمات تكون

وفي هجاء ابن قزعة يقول أيضاً (ابن قتيبة، 1964، 759) :

بجدك يا بن قزعة نلت مالا	ألا أن اللئام لهم جود
ومن حذر الزيادة في الهدايا	أقمت دجاجة فيمن يزيد

ومن باب تلك السخرية اللاذعة قوله أيضاً يهجو مسعوداً:

وسائلٍ عن ندي مسعود قلت له	هو الجواد ولكن ليس في الجود
غيث الروابي إذا حلت بساحته	وآفة المال بين الزق والعود

" وكان الأخفش يطعن على بشار، ويأخذ عليه خطأه في اللغة، وقياسه غير مقيس، فبلغ ذلك بشاراً فقال :ويلي على القصار ابن القصارين – متى كانت اللغة والفصاحة في بيوت القصارين؟ فبلغ ذلك الأخفش فيكى، فقبل له :ما يبكيك؟ قال : وقعت في لسان الأعمى، فذهب أصحابه إلى بشار، فكذبوا عنه، وسألوه ألا يهجوهم فقال :وهبته للوم عرضه، قال : فكان الأخفش بعد ذلك يحتج في كتبه بشعره، يبلغه ذلك وكيف عنه " (المرزباني، 1995، 246) .

بلاغته في شعره

لقد أحتفظ بشار للشعر العربي بأصوله التقليدية، ومضى يطور في أغراضه ومعانيه تطوراً يختلف قلة وكثرة وسعة وعمقاً. فقد استطاع بشار في المواضيع الشعرية التقليدية أن يضيف إلى العناصر البدوية عناصر مستحدثة مستمدة من البيئة العباسية المتحضرة. بالإضافة إلى ذلك فقد تطرق إلى الموضوعات الشعرية المستحدثة في هذا العصر متناولاً في قصائده المجون والزندقة، فقد كان داعياً إلى الفسق محرصاً على الفساد وتصدره حركة الإنحلال الأخلاقي الذي هو الخطوة الأولى نحو الزندقة والإلحاد.

" وقد وصل بشار إلى درجة عالية من الروعة في تصوير صورهِ الشعرية، فهو يضع كل لون في موضعه، ممسكاً بريشته الذهبية التي لا تنسى أدق الأشياء، إنَّ شاعراً وُلِدَ بمثل عاهته كان من الممكن أن يركن إلى صور تقليدية بعيدة عن الوصفية؛ يُلوك فيها صور المبصرين، لينأى عن فقدانه لبصره بالاستتار خلف الآخرين، أو استعمال حواس أخرى غير حاسة البصر، في حين أنَّ الشاعر بشار وظَّف الحواس جميعاً، بل استعان بالغيبيات في شعره، يقول (ناصر الدين، 2010، 609) :

الجنان تمرّ حديثها كأنّ معديّ من المحاجر ودعجاء
خيزران من عظامها كأنّ تننّنت لمشيئتها قامست إذا
يُنسِيكَ المني نَظْرُ إليها وَيَصْرِفُ وَجْهَهَا وَجْهَ الزَّمانِ

أما أوزانه فقد مضى بشار ينظم الأوزان المعروفة، مستفيداً من تنويعه وتجزئته وتقطيعه، مما وفر له ألحاناً كثيرة كان يختار منها ما يلائم عواطفه، و أقبل بشار على الأوزان القصيرة السلسلة لإقبال الناس على التلحين والغناء، حيث شغف بعضهم باللهو والمجون، وسلك بشار هذا المنحى لترقيق شعره، وترك الأوزان الطويلة لأشعار المناسبات الرسمية كالمدح والفخر وما إلى ذلك. وأما في مجال القوافي، ففي أوائل الدولة العباسية نشأ ضربان جديدان من الرجز الأول سمي بـ(المزدوج) والثانية سمي بـ(المخمسة). والظاهر أن بشار هو أول من استعمل التخمين.

" والشاعر بشار لم يركن إلى المألوف من الصياغة، أو ينقاد إلى أعراف الشعراء قبله، فيه شاعر امتلاك موهبة ميّزته استطاع بواسطتها أن يحيك أنسجة منمّقة وموشّحة، بل أن يصنع فسيفساء رقية تنحني لها قامة الكلمات، وتذوب لحلاوته سدودُ الأتباع أمام دفق العبارات، ونحت الصور، وفراة الصياغة" (السامرائي، 2014، 17) .

يقول بشار

وان نال مني الشوق واجهتُ بابها بإنسان عين ما يُفِيقُ من السَّكَبِ
كما ينظرُ الصَّادي أطال بمنهلٍ فحلاهُ الوراُءُ عن باردٍ عذبٍ

إنَّ الشاعر بشار قد رسم في البيتين صورتين متقابلتين : الأولى بصرية خالصة، فهو ينظر بإنسان عينه، وإنسان العين هو (السواد ينعكس عليه المثال) نظرا غير فاتر ولا متكاسل، في مقابلة صورة تذوقية بامتياز، يصور فيها العطشان الذي طال عطشه، ومُنِعَ الري، فهما صورتان من حاستين مختلفتين يربطهما رابط هو الحرمان الشديد (ناصر الدين، 2010، 72) .

" إنَّ شاعرية بشار بن برد الطاغية، ولدت معاني من أشد الحواس تنافراً، وتباعداً، فارتقت المشاهد المصورة ؛ لتنتج صوراً رقيقة مؤثرة، كان لحاسة البصر الدور الأوضح في رسمها، و يقول بشار بن برد (السامرائي، 2014، 4) :

يا ليلتي تزداد نُكْراً من حُبٍّ من أُحْبَبْتُ بِكْراً
حوراءُ إنَّ نَظْرَتِ الي لك سَقَتَكَ بالعَيْنين حَمْراً
وكأنَّ رَجَعَ حديثها قَطَعَ الرِّياض كُسيين زَها
وكان تحت لسانها هاروتُ يَنْفُثُ فيو سَحْراً
وتَحَالَ ما جَمَعَتْ عَل يه ثيابها ذهباً وعطراً
وكأنَّيها بَرْدُ الشرا بصفا ووافق منك فطرا
جَنِيَّةٌ إنْسيية أو بين ذاك أجْلُ أمرا

الخاتمة

لقد ظهر الشعراء المجددون (المولدون) مع بداية العصر العباسي الأول بنهج شعري يحمل بذور التجديد، تدفعهم الرغبة في التعبير عن ظروف عصرهم وحقيقة مشاعرهم، وقد عاصروا في زمانهم ثمار الحضارة، والازدهار العلمي والراقي الفكري، وقد تناول البحث بعض جوانب الحياة التي سادت بالعصر العباسي الأول، وهي (الحياة السياسية، والاجتماعية، والعقلية، والدينية)، وقد كان لتلك الجوانب أثر كبير في تطور الشعر واتجاه الشعراء نحو التجديد، فاندفعوا يبحثون عن الجديد في موضوعات الشعر وأسلوبه، فجددوا في نهج القصيدة و بنيتها، وألفاظها، و امتد هذا التجديد فشمّل بحور الشعر و أوزانه، و صورهِ ومعانيهِ وأخيلته، ومنذ بداية هذا العصر ، و من أهم نتائج البحث ما يلي :

يعد بشار بن برد رائد المجددين في الشعر ، وهذا ما دفع الدكتور عبد الله الطيب إلى القول بأن "بشارا بحق إمام المحدثين ، كما أكد ابن رشيق أنه أول من فتق البديع من المحدثين ولذلك يعد بشار بن برد إمام المحدثين وزعيم المجددين .

أخذت حركة التجديد تسري في مطلع القرن الثاني الهجري ، وتصطدم بعنف مع عمود الشعر القديم ومنهجه ، وقد استحدث شعراء هذا العصر بعض مظاهر التجديد التي شملت : (التجديد في الألفاظ، و بنية القصيدة، و الأوزان و القوافي، والأغراض و المقاصد، و التجديد في المعاني و الأخيلة)، و لم يكن بشار بن برد بمنأى عن شعراء عصره ، بل حمل لواء التجديد ، وسبق شعراء عصره في كثير من الأغراض .

ولشعر بشار بن برد بشكل عام وفي مجال الهجاء بشكل خاص سمات وخصائص فنية عديدة اتسم بها، وأضفت عليه طابعاً فريداً في نهجه وفي موضوعه، ويمكن حصر ذلك فيما يلي: (تزكية النزعة الشعبية ، المقطوعات القصيرة ، تذييل القصائد بالحكم و الأمثال ، سخريته اللاذعة في هجائه ، بلاغته في شعره) .

المراجع :

- ابن المعتز (1939): **طبقات الشعراء المحدثين**، مطبعة جامعة أمبريدج .
- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيقي (د/ت): **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** - مطبعة السعادة - مصر ، ط 5 / 131
- المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران: **الموشح** - تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة .
- الفاضل، أحمد (2003): **تاريخ وعصور الأدب العربي**، دار الفكر اللبناني، بيروت .
- أمين، أحمد (1996): **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
- الأصفهاني، علي بن الحسن: (1935): **الأغاني**، ج 6، دار الكتب .
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **آتاب البخلاء** - تحقيق محمد الاسكندراني - دار الكتاب العربي - بيروت .
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر البيان والتبيين، - مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1، ط 4 د، ت،
- زيدان، جرجي (1912): **تاريخ آداب اللغة العربية** - مطبعة الهلال بالفجالة - مصر، ص 148
- محمود، حسن أحمد ؛ و الشريف، أحمد إبراهيم (2009): **العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول**، مطبعة المدني، ط 1 .
- عطوان، حسين (1987): **مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني**، دار الجيل، مصر .
- السلامة، حمود بن عبد الله (2008): **الأدب العربي**، وزارة التربية و التعليم، المملكة العربية السعودية، التطوير التربوي .
- بيومي، السباعي (1937): **تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي بغير الأندلس و المغرب**، ط 2، مطبعة العلوم بشارع الخليج، بجنيّة لاط .
- شلبي، سعد اسماعيل (1979): **الشعر العباسي التيار الشعبي**، دار غريب للطباعة و النشر، الفجالة، القاهرة .
- الفحام، شاكراً (1983): **نظرات في ديوان بشار بن برد**، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط 2
- ناصر الدين، مهدي محمد (2010): **شرح ديوان بشار بن برد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2
- ضيف، شوقي (2001): **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**، ط 12، القاهرة، دار المعارف
- ضيف، شوقي (2004): **تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول**، دار المعارف، القاهرة، ط 16
- العساف، صالح محمد (2003): **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية**، ط 3، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية .
- مكي، طاهر احمد (1999) : **الشعر العربي في أسبانيا وصقلية**، دار الفكر العربي، جزء 1 ، مصر.
- حسين، طه (1937): **حديث الأربعاء**، ط 2، دار المعارف، مصر.
- حجاوي، عارف (2017): **تجدد الشعر زبدة الشعر العباسي من بشار إلى البحتري**، دار المشرق، القاهرة .
- البغدادى، عبد القادر بن عمر - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - تحقيق عبد السلام هارون، 3 / 230
- الحديدي، عبد اللطيف (1995): **الخصومة بين القدماء والمحدثين في العصر العباسي الأول**، ط 1، مصر: دار السعادة .

الطيب، عبد الله-(د / ت)، مع أبي الطيب، ص 264

بن قتيبة، عبد الله بن مسلم (1964): الشعر والشعراء - دار الثقافة - بيروت

الفقطي، الوزير جمال الدين أبو الحسن على يوسف (1955): أنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق العميد الفضل إبراهيم، 130 / ج 3

الأسدي، كريم مرزة: التجديد في الشعر العربي - العصر العباسي... بشار بن برد : المجدد العباسي الأول، متاح على الموقع
<http://www.alnoor.se/article.asp?id=197969>

عماري، كريمة (2018): بنية القصيدة في العصر العباسي و خصائصها الفنية و الجمالية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولاي الطاهر سعيدي، كلية الآداب و اللغات و الفنون، الجزائر .

سلام، محمد زغلول (1993): الأدب في عصر العباسيين، الاسكندرية، ص114

سلام، محمد زغلول ؛ و العلوي، محمد بن أحمد طباطبا (د/ت): عيار الشعر، بتحقيق وتعليق طه الحاجري . الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ص 182/1

حجاب، محمد نبيه (1961): مظاهر الشعبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن السادس الهجري، مطبعة نهضة مصر .

مصطفى، محمود (1937): الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، ط 2 .

السامرائي، يوسف طارق (2014): الصور البصرية و تداخلاتها في شعر الأكمه بشار بن برد تطبيقات أسلوبية، المجلد 10، العدد 38، السنة العاشرة .